

ما وعد الرحمن وصنق المرسلون».

فإن قُلْتُ: ما معنى تحديث الأرض والإحياء لها؟ **قُلْتُ:** هو مجاز عن إحداث الله تعالى فيها من الأحوال ما يقوم مقام التحديث بالنسيان حتى ينظر من يقول: ما لها؟ إلى تلك الأحوال فيعلم لم زلزلت ولم لفظت الأموات، وأن هذا ما كانت الأنبياء يندرونه ويحذرون منه. وقيل: ينطقها الله على الحقيقة وتخبر بما عمل عليها من خير وشر. وروي عن رسول الله ﷺ تشهد على كل أحد بما عمل على ظهرها⁽¹⁾.

يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤١﴾

فإن قُلْتُ: إذا ويومئذ ناصبهما! **قُلْتُ** يومئذ يدل من إذا وناصبهما تحدث، ويجوز أن ينتصب إذا بمضمر ويومئذ بتحدث.

فإن قُلْتُ: أين مفعولا تحدث؟ **قُلْتُ:** قد حذف أولهما، والثاني إخبارها، وأصله: تحدث الخلق أخبارها، إلا أن المقصود نكر تحديثها الأخبار لا نكر الخلق تعظيماً لليوم.

بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴿٤٥﴾

فإن قُلْتُ: بم تعلق الباء في قوله: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ﴾؟ **قُلْتُ:** بتحدث معناه تحدث أخبارها بسبب إحياء ربك لها وأمره إياها بالتحديث. ويجوز أن يكون المعنى: يومئذ تحدث بتحديث أن ربك أوحى لها أخبارها على أن تحديثها بأن ربك أوحى لها تحديث بأخبارها. كما تقول: نصحتني كل نصيحة بأن نصحتني في الدين. ويجوز أن يكون بأن ربك بدلاً من أخبارها. كأنه قيل: يومئذ تحدث بأخبارها بأن ربك أوحى لها، لأنك تقول: حديثه كذا وحديثه بكذا. و﴿أوحى لها﴾ بمعنى: أوحى إليها، وهو مجاز كقوله: أن تقول له كن فيكون. قال: أوحى لها القرار فاستقرت. وقرأ ابن مسعود: تنبئ أخبارها. وسعيد بن جبير: تنبئ بالتخفيف، يصدر عن مخارجهم من القبور إلى الموقف.

يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ ﴿٦١﴾

﴿أشتاتاً﴾ بيض الوجوه آمنين، وسود الوجوه فزعين أو يصدرون عن الموقف أشتاتاً يتفرق بهم طريقاً الجنة والنار ليروا جزاء أعمالهم. وفي قراءة النبي ﷺ ليروا بالفتح. وقرأ ابن عباس وزيد بن علي يره بالضم.

فَمَنْ يَسْمَلْ يُسْكَالَ دَرَوُ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَسْمَلْ يُسْكَالَ دَرَوُ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾.

ويحكي أن اعرابياً أخر خيراً يره. فقيل له: قدمت وأخرت. فقال:

خذا بطن هرشي أفاها فإنه كلا جانبي هرشي لهن طريق

والذرة، النملة الصغيرة، وقيل: الذر ما يرى في شعاع الشمس من الهباء.

فإن قُلْتُ: حسنات الكافر محبطة بالكفر⁽²⁾، وسيئات المؤمن معفوة باجتنب الكبائر، فما معنى الجزاء بمثاقيل الذر من الخير والشر؟ **قُلْتُ:** المعنى فمن يعمل مثقال ذرة خيراً من فريق السعداء، ومن يعمل مثقال ذرة شراً من فريق الأشقياء. لأنه جاء بعد قوله: يصدر الناس أشتاتاً، عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة إذا زلزلت أربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله»⁽³⁾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة العاديات مختلف فيها

وَأَلْمَدِيَّتِ صَبِيحًا ﴿١﴾.

اقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح. والضبح: صوت انفاسها⁽⁴⁾ إذا عدون. وعن ابن عباس أنه حكاه فقال: أح

== (1) أخرجه الترمذي في كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة ﴿إذا زلزلت الأرض﴾ (الحديث رقم: 3353) وأخرجه ابن حبان في كتاب: إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، باب: إخباره ﷺ عن البعث وأحوال الناس، (الحديث رقم: 7360) وأخرجه الحاكم في المستدرک 2/532.

(2) قال أحمد: السؤال المعني على قاعدتين إحداهما: أن حسنات الكافر محبطة بالكفر وهذه فيها نظر، فإن حسنات الكافر محبطة، أي: لا يثاب عليها ولا ينعم، وأما تخفيف العذاب بسببها فغير منكر، فقد وردت به الأحاديث الصحيحة، وقد ورد أن حاتمًا يخفف الله عنه لكرمه ومعروفه، ورد ذلك في حق غيره كابي طالب أيضاً، فحينئذ لحسنات الكافر أثر ما في تخفيف العذاب، فيمكن أن يكون المرثي هو ذلك الأثر، والله أعلم. وأما القاعدة الثانية: وهي القول بان اجتنب الكبائر يوجب تمحيص الصفات ويكفرها عن الزمن، فمرود عند أهل السنة فإن الصفات عندهم حكما في التكفير ==

(3) أخرجه الثعلبي من حديث علي بإسناد أهل البيت، وله شاهد من حديث أنس مرفوعاً، نكره ابن كثير في تفسيره: 8/480. والخطيب في تاريخه 11/380.

(4) قال أحمد: ولم ينكر حكمة الإتيان بالفعل معطوفاً على الاسم فنقول: إنما عطف آثرن على الاسم الذي هو العاديات وما بعده؛ لأنها أسماء فاعلين تعطي معنى الفعل وحكمة مجيء هذا المعطوف فعلاً عن اسم فاعل تصوير هذه الأفعال في النفس، فإن التصوير يحصل بإيراد الفعل بعد الاسم لما بينهما من التخالف، وهو أبلغ من التصوير بالأسماء المتناسقة، وكذلك التصوير =

أح. قال عنتره:

والخيل تكدح حين تضد - بع في حياض الموت ضبْحًا
وانتصاب ضبْحًا على يضبحن ضبْحًا، أو بالعاديات.
كانه قيل: والضابحات، لأن الضبوح يكون مع العدو. أو على
الحال أي: ضابحات.

فَأُتْرِبَتْ قَدَمًا ①.

فإن قُلْتُ: علام عطف فائرن؟ قُلْتُ: على الفعل الذي
وضع اسم الفاعل موضعه لأن المعنى: واللاتي عدون
فأورين فأورن فائرن.

لَأَنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ①.

الكنود: الكفور، وكند النعمة كنودًا، ومنه سمي كندة لأنه
كند أباه ففارقه. وعن الكلبي: الكنود بلسان كندة العاصي،
وبلسان بني مالك البخيل، وبلسان مضر وربيعة الكفور،
يعني: أنه لنعمة ربه خصوصًا لشديد الكفران، لأن تفريطه
في شكر نعمة غير الله تفريط قريب لمقاربة النعمة، لأن
أجل ما أنعم به على الإنسان من مثله نعمة أبيه، ثم إن
عظماها في جنب أدنى نعمة الله قليلة ضئيلة.

وَأَنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لِشَيْءٍ ⑦.

﴿وانه﴾ وإن الإنسان ﴿على ذلك﴾ على كنوده
﴿لشئيد﴾ يشهد على نفسه ولا يقدر أن يجحده لظهور
أمره، وقيل: وإن الله على كنوده لشاهد على سبيل الوعيد.

وَأَنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ⑧.

﴿الخير﴾ المال من قوله تعالى: إن ترك خيرًا. والشديد:
البخيل الممسك. يقال: فلان شديد ومتشدد، قال طرفة:

أرى الموت يعتم الكرام ويصطفى
عقيلة مال الفاحش المتشدد

يعني: وإنه لأجل حب المال وأن إنفاقه يثقل عليه لبخيل
ممسك، أو أراد بالشديد القوي، وأنه لحب المال وإيثار
الدنيا وطلبها قوي مطبق، وهو لحب عبادة الله وشكر نعمته
ضعيف متعاس. تقول: هو شديد لهذا الأمر وقوي له إذا
كان مطبقًا له ضابطًا، أو أراد أن لحب الخيرات غير هش
منبسط ولكنه شديد منقبض.

✽ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِرَ مَا فِي الْأَبْوَابِ ④.

﴿بعثر﴾ بعث وقرى: بعثر وبعث وبعثر وحصل على
بنائهما للفاعل وحصل بالتخفيف.

وَحُوِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ⑤.

﴿فالموريات﴾ توري نار الحياض، وهي ما ينقدح من
حواقرها. ﴿قدحًا﴾ قانحات صاكات بحواقرها الحجارة،
والقدح: الصك. والإبراء: إخراج النار. تقول: قدح فأورى،
وقدح فاصلد، وانتصب قدحًا بما انتصب به ضبْحًا.

فَأُتْرِبَتْ سَيْمًا ③.

﴿فالمغيرات﴾ تغير على العدو ﴿صبْحًا﴾ في وقت
الصبح.

فَأَزِنَ بِهِ نَعْمًا ④.

﴿فائرن به نفعًا﴾ فهيجن بذلك الوقت غيرًا.

فَوَسَطْنَ بِهِ جَمًّا ⑤.

﴿فوسطن به﴾ بذلك الوقت أو بالنقع، أي: وسطن النقع
الجمع، أو فوسطن ملتبسًا به ﴿جمعًا﴾ من جموع
الأعداء ووسطه بمعنى: توسطه. وقيل: الضمير لمكان
الغارة، وقيل: للعدو الذي دل عليه والعاديات. ويجوز أن
يراد بالنقع الصياح من قوله عليه السلام: ما لم يكن نقع
ولا لقلقة⁽¹⁾. وقول لبيد: فمتى ينقع صراخ صانق، أي:
فهيجن في المغار عليهم صياحًا وجلبة، وقرأ أبو حيوة:
فائرن بالتشديد، بمعنى: فأظهرون به غيرًا، لأن التأثير فيه
معنى الإظهار أو قلب ثودن إلى وثرن وقلب الواو همزة.
وقرى: فوسطن بالتشديد للتعدية، والباء مزيدة للتوكيد،
كقوله: ﴿وأوتوا به﴾⁽²⁾ وهي مبالغة في وسطن، وعن ابن
عباس: كنت جالسًا في الحجر فجاء رجل فسألني عن
العاديات ضبْحًا ففسرتها بالخييل، فذهب إلى علي وهو
تحت سقاية زرم فسأله ونكر له ما قلت. فقال: ادعه لي،
فلما وقفت على رأسه قال: تفتي الناس بما لا علم لك به،
والله إن كانت لأول غزوة في الإسلام بدر وما كان معنا إلا
فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد العاديات ضبْحًا الإبل
من عرفة إلى المزلفة، ومن المزلفة إلى منى⁽³⁾، فإن
صحت الرواية فقد استعير الضبوح للإبل، كما استعير

(1) أخرجه البخاري تعليقًا في كتاب: الجنائز، باب: ما يكره من النياحة
على الميت وأخرجه الحاكم في المستدرک 217/3.

(2) سورة البقرة، الآية: 25.

(3) أخرجه الحاكم في المستدرک 533/2.

= بالمضارع بعد الماضي، وقد تقدمت له شواهد أقربها قول ابن
معيكرب:

سأني لقيت الغول تهوى بسهب كالصحيفة صحصحن

فأضربها بلا دهمش فجرت صريعاً لليبدين وللجران

وإنما خفت موازين من خفت موازينه لاتباعهم الباطل وخفتها في الدنيا، وحق لميزان لا توضع فيه إلا السيئات إن يخف.

فَأَمَّهُ هَكَوِيَةً ﴿١﴾

﴿فأمة هاوية﴾ من قولهم: إذا دعوا على الرجل بالهلكة هوت أمه⁽³⁾ لأنه إذا هوى أي: سقط وهلك فقد هوت أمه تكلاً وحزنًا. قال:

هوت أمه ما يبعث الصبح غادياً وماذا يرد الليل حين يؤب
فكانه قيل: وأما من خفت موازينه فقد هلك. وقيل: هاوية من سماء النار، وكانها النار العميقة لهوى أهل النار فيها مهوى بعيداً. كما روي: يهوي فيها سبعين خريقاً⁽⁴⁾. أي: فمأواه النار. وقيل: للمأوى أم على التشبيه لأن الأم ماوى الولد ومفزعها. وعن قتادة: فأمة هاوية أي: فأم رأسه هاوية في قعر جهنم، لأنه يطرح فيها منكوساً.

وَمَا أَدْرَبَكَ مَا هِيَ ﴿٥﴾

﴿هيه﴾ ضمير الداهية التي دل عليها قوله: فأمة هاوية. في التفسير الأول، أو ضمير هاوية والهاء للسكت، وإذا وصل القارئ حنفها وقيل: حقه أن لا يندرج لثلاث يسقطها الإبراج لأنها ثابتة في المصحف، وقد أجزبت إثباتها مع الوصل. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيامة»⁽⁵⁾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّانِ الرَّحِيمِ

سورة التكاثر مكية

أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَيْثُ زِدْتُمُ الْمَنَابِرَ ﴿٢﴾

الهاء عن كذا واقهاه إذا شغله. و﴿التكاثر﴾ التباري في الكثرة والتباهي بها، وأن يقول هؤلاء نحن أكثر هؤلاء نحن أكثر. روي أن بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا أيهم أكثر عنداً فكثرهم بنو عبد مناف فقالت بنو سهم: إن البغي اهلكنا في الجاهلية فعانونا بالأحياء والأموات، فكثرتهم بنو سهم، والمعنى: أنكم تكاثرتم بالأحياء حتى إذا استوعبتهم عددهم صرتم إلى المقابر فتكاثرتم بالأموات. عبر عن بلوغهم نكر الموتى بزيارة المقابر تهكمًا بهم. وقيل: كانوا يزورون المقابر فيقولون: هذا قبر فلان وهذا

ومعنى حصل جمع في الصحف أي: أظهر محصلاً مجموعاً. وقيل: ميز بين خيره وشره، ومنه قيل للمنخل: المحصل. ومعنى علمه بهم يوم القيامة مجازاته لهم على مقادير أعمالهم لأن ذلك أثر خبره بهم.

إِنَّ رَبَّهُمْ يَوْمَ يُؤْتِيهِمْ لَعْنَتُهُ ﴿١١﴾

وقرأ أبو السمال: إن ربهم بهم يومئذ خبير. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة والعانيات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزلفة وشهد جمعاً»⁽¹⁾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّانِ الرَّحِيمِ

سورة القارعة مكية

أَلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَزْوَكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾

الظرف نصب بمضمون دلت عليه القارعة أي: تفرغ.

يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾

﴿يوم يكون الناس كالفراش المبثوث﴾. شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير إلى الداعي من كل جانب كما يتطاير الفراش إلى النار. قال جرير:

إن الفرزدق ما علمت وقومه مثل الفراش غشين نار المصطلي
وفي أمثالهم أضعف من فراشة وأذل وأجهل، وسمي فراشاً لتفرشه وانتشاره.

وَتَكُونُ أَلْجَسَاتُ كَالْيَتِيمِ الْآمَنُوثِ ﴿٥﴾

وشبه الجبال بالعهن وهو الصوف المصبغ الواناً لأنها الوان، وبالمنفوش منه لتفريق أجزائها. وقرأ ابن مسعود: كالصوف.

فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾

الموازين جمع موازون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله، أو جمع ميزان، وثقلها رجحانها. ومنه حديث أبي بكر لعمر رضي الله عنهما في وصيته⁽²⁾ له وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق وثقلها في الدنيا، وحق لميزان لا توضع فيه إلا الحسنات إن يتقل.

وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾

= جهنم (الحديث رقم: 2575)، وأخرجه الحاكم في المستدرک 4 / 597.

(5) أخرجه البخاري في الرقاق، باب: حفظ اللسان. (الحديث رقم: 6478).

(1) نكره الثعلبي والواحدي وابن مردويه 297/4.

(2) رواه ابن أبي شيبة 573/14، كتاب: المغازي، باب: خلافة عمر.

(3) قال أحمد: والأول أظهر؛ لأنه مثل معروف كقولهم لأمه: الهبل.

(4) أخرجه الترمذي في كتاب: صفة جهنم، باب: ما جاء في صفة قعر =